

## شهادتنا نحن اليوم مجالات الشهادة الآن

لكن ماذا بعد ؟ هل انتهى عصر الاضطهادات ، وبطلت الشهادة ؟

إنَّ الشهادة عمل كل مؤمن دُعِيَ عليه اسم المسيح واقتبل نعمة عهد المعمودية ، وصار له المسيح نصيباً ... فحالة الاضطهاد هي الحالة العادية للكنيسة في العالم ( 2 تي 3 : 12 ) ، لذلك فالاستشهاد هو المسيحية بعينها ، وهو إعلان عن صليب المسيح الذي صار لنا نعمة ومجد وتبعية ...

فالاستشهاد الباطني موضوع علينا ، وإن كان الاستشهاد بالدم هو أكمل وسيلة لتبعية المسيح وتحقيق الوجود المسيحي ، فهو لن يكون الوسيلة الوحيدة لأنه ليس مُفدماً للجميع بل للذين أُعطيَ لهم ، والله يُتوج خُدَّامه وهو يطلب إيماننا العامل .. لذلك يقول أنبا باخوميوس أب الشركة أنه ليس فقط تقطيع الأعضاء والحرق وحدثهما هما استشهاد !! بل تعب التُّسك واحتمال الآلام والأمراض واحتمالها بشكر هو الشهادة “ من أجلك نَمات كل النهار ” .

وللشهادة مجالات كثيرة ، فالقداسة يمكن أن تُحسب مُساوية للاستشهاد ، تلك هي المحبة الكاملة وإنكار الذات والبذل والتكريس والعفاف والتلمذة كبرهان على استعداد النَّفس للاستشهاد ، فالتكريس والبتولية ونذر الرهينة صارت طُرُقاً مُماثلة جداً للاستشهاد ، والعذارى والرهبان والمُكرسين صورة مُماثلة للشهداء ، حتى أنَّ القلاية تُعدّ مكان شهادة الراهب الدائمة .

وللقديس يوحنا فم الذهب مفهوماً عام ومُتسع عن الاستشهاد : “ وقد يقول قائل أنه ليس وقت الاستشهاد فماذا أفعل ؟ هل نظن أنَّ الاستشهاد على خشبة فقط هو الذي يصنع الشهيد ، لو كان لحرُم أيوب من إكليله وهو يُماثل ألف شهيد ” .

ويشهد البابا أثناسيوس الرسولي عن العظيم أنبا أنطونيوس : “ وعندما توقف الاضطهاد أخيراً وأكمل المغبوط بطرُس الأسقف شهادته ، انصرف أنطونيوس في مغارته وبقى هناك وكان كل يوم شهيداً أمام ضميره ” ..

لذلك سُميت مغارة القديسان مكسيموس ودوماديوس بمكان شهادة الغُرباء ، إنها شهادة الحُب وشهادة التُّسك وشهادة البتولية وشهادة العبادة وشهادة الحواس والجسد ..

ويُوصينا العظيم أنبا أنطونيوس الكبير “ قدّموا جسدكم هذا الذي تلبسونه واجعلوا منه مذبحاً ، اجتهدوا أن تُقدّموا ذواتكم كذبيحة لله دائماً ” .

حقيقة أنَّ الاستشهاد بالدم له كرامة وبركة خاصة ولكن الحياة التُّسكية هي بمثابة استشهاد يومي بالإرادة لذلك كل مسيحي إنما هو شاهد وشهيد وعصر الاستشهاد لم ينته حتى ولو انقضى زمان الاضطهاد ، والعظيم أنبا أنطونيوس هو أوّل من عاش الاستشهاد بدون سفك دم ..

هناك حروب أخرى على المسيحي أن يخوضها كل يوم ، نعني بها القتال ضد الشهوات والصراع ضد الرغبات ، لذلك يسرد لنا المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري عن الكهنة والشمامسة والخُدَّام الذين ماتوا بسبب كثرة زياراتهم للمرضى وخدمتهم بحُب مسيحي فانتقلت إليهم العدوى ومات البعض منهم ، إنه لا يمكن أن يكون قد نَقصهم شئ من الاستشهاد .

فإن لم نكن على استعداد لأن نموت لآلامه فحياته ليست فينا ، والاستعداد القلبي للشهادة يُحسب أنه شهادة ( بحسب تعبير ذهبي الفم ) ، والشهادة وإن كانت بإمكان الجميع إلا أنَّ تحقيق ذلك نعمة تُعطى للقليلين ، لذلك حياتنا كلها شهادة كبرى .

وأفاض القديس فم الذهب في الحديث عن مجالات الشهادة فقال : “ بليني الثاني ”

“ إذا فاحتمل المشقات كلها ببسالة ، لأنَّ هذا يُحسب لك استشهاده ” ... وأضاف قائلاً: “ ليس الشهيد هو فقط من عُقِقَ على الصليب ، بل من تألم أكثر من شهداء كثيرين ، لأنَّ كثيرين تحملوا السياط ، لكنهم لم يحتملوا فقدان مُمتلكاتهم ... هذا نوع آخر من الاستشهاد ” .

بل يعتبر أن كل احتمال له بركته ودلالته فيقول : “ هل سقطت فريسة مرض عِضال ، هل رضيت أن تحتمله بجلد وبلا وجل حتى لا تلجأ لأعمال السحر ؟ هذا سيأتي لك بإكليل الاستشهاد ، ثق في هذا ، لأنه كما يحتمل الشهيد آلام العذابات بجلد مُقابل أن لا يسجد للتمثال ، هكذا أنت تحتمل مشقات مرضك دون أن تلجأ لأعمال السحر للشفاء منها ” ..

لذلك فالإنسان المسيحي شهيد بالليل ، وشهيد بالنهار ، شهيد يُمات كل النهار لكي تظهر حياة يسوع في جسده المائت ، شهيد في حياته اليومية ، شهيد في أخلاقياته ، إنها الشهادة السريّة الداخلية ، شهادة الضمير التي هي وصية للجميع وكل من يتخلّى عن مشيئته الخاصة فهذا يُسفك دمه ( بحسب قول القديس برصنوفوس ) .

إنه صلب الجسد والأهواء والشهوات ( غل 5 : 14 ) ، ألسنا جميعاً مدعوين إلى هذه الشهادة التي تحدّث عنها القديس كيريانوس عندما فرّق بين شهادتين “ شهادة حمراء ” شهادة الدم ، و “ شهادة بيضاء ” هي شهادة المحبة المُضحية والبذل وحمل الصليب والنُسك والسلوك بلا عثرة ... تلك التي قال عنها القديس ميثوديوس الشهيد أسقف أولمباس “ إن حياة التكريس والبتولية هي استشهاد ليس في لحظة واحدة قصيرة بل هي استشهاد مُمتد طوال الحياة ” .

## شهادتنا اليوم :

ما أوجنا إلى أن نعيش الشهادة الحيّة لنصير شهداء أمام ضمائرنا ، ما أوجنا إلى المُناخ الطاهر ، ما أوجنا إلى قداسة حياة أعضاء الكنيسة ، إلى حياة الفرح والتهليل كشهادة حيّة على غلبة العالم والظروف المُحيطة بنا ، ما أوجنا إلى كلمة الحق والعُكوف على الصلاة والتسبيح وشهادة الحُب والوداعة والعفة والطاعة والتجرّد ، ما أوجنا للقلب الواحد والفكر الواحد والروح الواحد ، أليست هذه هي الشهادة بعينها !!! ما أوجنا إلى الجو المُقدّس والروحانية غير المُزيفة ، ما أوجنا إلى ثبات الرعيّة وضبط الرعاة ، ما أوجنا إلى التدبير والمشورة والعمل الهادف والبناء الذي به تُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع ، ما أوجنا إلى شهادة الشبوع وخدمة الحُب والذبايح والصلاة وأعمال الرحمة ، تضحية بحياة الجسد وناموس الطبيعة ، تضحية بالعواطف ( الأم دولاجي والسبت رفقة ) ، تضحية بأمور هذا العالم ، فهل من شهادة في جيلنا المُعاصر !؟

إنَّ الكنيسة أمّا تحثنا على شهادة Martyria مُعاصرة يقوم بها الأعضاء بدافع المحبة والغيرة المُقدسة والعطاء لكل الناس سواء خارج أو داخل الكنيسة وفي كل مكان من أجل الشهادة لأوامر الله وكتابتها على ألواح صدورنا ومن أجل ثمار التوبة ورُسوخ الإيمان وغيّ الفضيحة وخدمة الأحشاء ( الأرملة واليتيم والغريب والضعيف ) ، ناشرين روح المسيح الهادئة الوديدة الباذلة ، بالاعتدال والتعقل والحشمة والصحو والزانة ، شهادة لمسيحنا المُحب بالافتخار وبرهان الروح ونقاوة الضمير وحراسة البيعة ، والشهادة للحق بغير موارد ولا ميل ولا عثرة ولا وقوع في الدينونة ، تلك هي دعوتنا المُستمرة لكي نُضئ قُدّام جميع الناس كنور من منارة لا يستطيع أن يُخفيه مكيال ، ولُنصلي معاً :

مؤمنيك احسبهم مع شهدائك

frathanasius.george@ixoyc.net